

العنوان:

مسند الربيع بن حبيب (الجامع الصحيح عند الإباضية) دراسة نقدية

المؤلف الرئيسي:

السالك، عبدالرحمن أحمد محمد

مؤلفين آخرين:

الجوابرة، باسم فيصل(مشرف)

التاريخ الميلادي:

2009

موقع:

عمان

الصفحات:

1 - 342

رقم MD:

547034

نوع المحتوى:

رسائل جامعية

الدرجة العلمية:

رسالة دكتوراه

الجامعة:

الجامعة الاردنية

الكلية:

كلية الدراسات العليا

الدولة:

الاردن

قواعد المعلومات:

Dissertations

مواضيع:

الفرق الإسلامية ، الإباضية ، كتب الحديث ، الفقه الإسلامي ، الأزدي، الربيع بن حبيب بن عمر

رابط:

<http://search.mandumah.com/Record/547034>

### \* الفصل التمهيدي : نشأة الإباضية .

#### المبحث الأول : نشأة الإباضية وتسميتها .

##### تمهيد بين يدي المبحث :

يُعتبر الدكتور عوض خليفات من أشهر من كتب في نشأة فرقة الإباضية في هذا العصر ، في كتابه «نشأة الحركة الإباضية»<sup>(٦)</sup> .

وقد طبع الكتاب لأول مرة عام ١٩٧٨ م .

لكن كتابه في التاريخ وعلم الاجتماع ؛ فهو لا يعتمدُ منهجَ المحدثين في نقد الروايات والكتب والمؤلفات ؛ فهو يأخذ من الكتب التي وقعت له ويدرسها ويجمع بين نصوصها ، دون أن يراعي نقد الإسناد ، وصحة الروايات أو عدمها من حيث الجملة ، فضلاً عن صحة الكتب التي يأخذ منها .

وقد اعتمد في كتابته كثيراً على النصوص الإباضية ، والمؤرخين الإباضيين ، فهذا الأمر — وإن كان مفيداً في جانب التأليف النظري ، إلا أنه — لا يعطينا المنزلة الحقيقية التي ينزلها الإباضية ؛ فإن عندهم ما يشبه التقية عند الرافضة من أجل نشر مذهبهم ؛ بل ستجد في هذه الدراسة التي بين يديك أنهم قد يغيرون بعض النصوص من أجل الوصول إلى مرادهم ! وكذلك كتبهم التاريخية لا يُعتمد عليها ؛ فهي بين أصل غير معروف ، وأصل غير موثوق به ، وأصل مفقود هم أنفسهم يقرؤون بذلك ، ثم تجدهم ينقلون عنه<sup>(٧)</sup> . ولا أقصد بهذا الطعن في الدكتور عوض ، أبداً ، ولكن لكل مؤلف منهج خاصٌ يسير عليه ، ويرى من خلاله الأمور .

وبصفتي طالب علم في مجال الحديث النبوي الشريف فإنني أعتمد هذا المنهج في نقدي ودراستي لأي موضوع ، وهو المنهج الذي سار عليه الإمام أبو بكر ابن العربي المالكي رحمه الله تعالى في كتابه الكبير «العواصم من القواصم»<sup>(٨)</sup> .

---

(٦) خليفات ، عوض ، «نشأة الحركة الإباضية» ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨ م ، (ص : ٥٢ وما

بعدها) .

(٧) ككتير من الكتب المنسوبة إلى جابر بن زيد ؛ مثل «جوابات جابر بن زيد» ، و«ديوان جابر بن زيد» ، و«مدونة أبي غانم الخارساني» ، و«مسند الربيع بن حبيب» ، و«رسالة أبي عبيدة في الزكاة» ، وكتب محبوب بن الرحيل وابنه ، وغيرها مما سيأتي بيانه في هذه الدراسة .

(٨) ابن العربي ، محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي المالكي ، «العواصم من القواصم في

فالدارس لكتابه «العواصم» يُدرك أنه انتهج منهج المحدثين في نقد الروايات والأحداث التاريخية ، ولم يعتمد ما يسمى بمنهج المؤرخين الذين يجمعون الروايات ، ثم يضربونها ببعض ليصلوا إلى نصوص متوافقة ومعقولة يكتبون التاريخ على إثرها .  
وكذلك فقد سألت أستاذ التاريخ الكبير الدكتور أبا غازي عمر عبد السلام تدمري في منزله بطرابلس — لبنان في إحدى زيارتي عن منهج المؤرخين ومنهج المحدثين ؛ أيهم الذي ينبغي أن يؤخذ به في نقد الروايات التاريخية ، وفي كتابة التاريخ ؟  
فكان جوابه أن منهج المحدثين هو الذي ينبغي أن يُعمل به في نقد الروايات والنصوص التاريخية .

لذلك فإنني أعتمد منهج المحدثين في نقد «مسند الربيع بن حبيب» ، وكذلك أعتمدُ على كتابات علماء المسلمين الذين يميل القلب إلى تقواهم وبعدهم عن الهوى فيما كتبوا وشهدوا به على الناس .

ولا يعني ذلك أنني لا أذكر شيئاً من كتب الإباضية أو غيرها في بيان مذهبهم أو عقيدتهم ، فليس ذلك هو المطلوب ، لكنني أعتمد على أهل السنة أكثر من اعتمادي عليهم في بيان حقيقة مروياتهم ورجالهم وكتبهم ؛ فهم أكثر إنصافاً لغيرهم ، وأبعد تهمة ، دون عصمة لهم ؛ فاحتمال وقوع الخطأ منهم وارد .

وليس اعتمادي على كتاب الدكتور عوض خليفات إلا لأنه معتمد عند الإباضية أيضاً ؛ فهم يمدحونه ، وينشرونه على مواقعهم المعتمدة ؛ مثل موقع (كوكب المعرفة) وغيره ، بمعنى أنهم يقرّونه على مقدماته ونتائجه ؛ لذلك فإنني سأورد منه ما يصلح أن يورد ، دون مخالفة لأمر ثابت لي عليه برهان .

كما أنه مُطْلَعٌ على مراجع إباضية لم أقف عليها وكثير جداً منها مخطوط ، ودراسات مغربية واستشرافية لا أعرفها ، لذلك فإنني حيثما وجدتُ مرجعاً يفيدني فإنني سأدخله على دراسة الدكتور خليفات ، التي جعلتها الأصل في التعريف .

وجمعتُ معه كذلك كتاب الدكتور عمرو خليفة النامي «دراسات عن الإباضية»<sup>(٩)</sup> ، وهو كاتب إباضي معاصر ؛ فهو من أهم الكتب الإباضية التي كتبت في الموضوع ، لكن كتاب الدكتور خليفات أكثر اختصاراً ، والدكتور النامي تطرق إلى الإباضية بشكل عام ، أما

---

تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم» ، تحقيق وتعليق : محب الدين الخطيب ، لجنة الشباب المسلم ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ .

(٩) النامي ، عمرو خليفة ، «دراسات عن الإباضية» ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ٢٠٠١ .

الدكتور خليفات فقد تخصص في النشأة ، على الرغم من اطلاع النامي الواسع جداً .  
كما أن كتابتي هذه ليست سوى تعريف مجمل بالإباضية ونشأتها ، وليست دراسة مني  
لهم من الناحية التاريخية والعقائدية ، فهذا ليس من اختصاصي في هذه الدراسة الحديثة  
النقدية لـ «مسند الربيع بن حبيب» .

وتعريفي بهم يقتصر على الفترة التاريخية من ظهور الخوارج إلى زمن جابر بن زيد  
المؤسس الفقهي لفرقتهم ؛ لما في ذلك من بيان لحالهم ، وقد يساعد في بيان حقيقة «المسند» ،  
وما بعد ذلك من تاريخهم فهو موجود في العديد من الدراسات التاريخية عنهم ، وليس هنا  
مكان إيراد ذلك ، ولستُ معنيًا به ؛ لأنني سأبدأ بالنقد الحديثي لـ «مسند الربيع بن حبيب» .  
ولن أتنبع كلامهم فأنقذَ وأصوبَ وأعدّلَ وأحقّقَ في التاريخ ، فهذا يحتاج إلى دراسة  
مستقلة ، وإلى إعادة نظر في كل ما كُتب عن الإباضية من ناحية تاريخية وعقائدية وربط بينهما  
، حتى في دراسة الدكتور خليفات والنامي وغيرهم ، لكنني سأنتبع في دراستي هذه ما يتعلق  
بنسبة جابر بن زيد إلى الإباضية ، وإنني أبرأ إلى الله تعالى من كل زيف وباطل منسوب إلى  
الصحابة الكرام ، أو إلى واحد من المسلمين . والله تعالى الموفق ، وهو المستعان .

### المطلب الأول : نشأة الإباضية تاريخياً .

الأباضية (بفتح الهمزة كما ينطقها المشاركة) ، والإباضية (بكسرها كما ينطقها) كلاهما صواب كما  
في ترجمة عبد الله بن إباح<sup>(١٠)</sup> .

يرى الإباضية<sup>(١١)</sup> أن كلاً من أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قد سار في  
سياسته طبقاً لكتاب الله الكريم وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث يبجلونهم  
ويحترمونه ، أما عثمان رضي الله تعالى عنه فإنهم يعتبرونه عمل بالحق والعدل في السنوات  
الست الأولى من حكمه ، دون الست الباقية ؛ فالمصادر الإباضية تُطَبِّبُ كثيراً فيما تسميه  
(مساوئ عثمان) ، وتُفَرِّدُ فصولاً للحديث عن هذا الموضوع .

---

(١٠) «معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر — قسم المغرب  
الإسلامي» ، تأليف : لجنة البحث العلمي في جمعية التراث في الجزائر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،  
ط٢ ، ٢٠٠٠ م .

(١١) كما عند الدكتور خليفات (ص : ٥٧ — ٥٨) .

وانظر في ذلك أيضاً : علي يحيى معمر (مؤرخ إباضي معاصر) ، «الإباضية في موكب التاريخ» ،  
الحلقة الأولى : نشأة المذهب الإباضي» ، مكتبة الاستقامة ، ط٢ ، ١٤١٠ هـ — ١٩٨٩ م ، (ص : ٢١ و ٢٢) .

لذلك فإن الإباضية يرون أن الثورة على الخليفة الراشد الثالث كانت مشروعة ، وقتله كان واجباً ، ويعتبرون هذا العمل من خير ما فعله المسلمون .  
بل إنهم يعتقدون أن مقتل عثمان كان مساوياً من حيث الأهمية لانتصار المسلمين في معركة بدر الكبرى !

وتشير المصادر الإباضية إلى اشتراك علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ومن كان موجوداً في المدينة من المهاجرين والأنصار في الثورة على الخليفة عثمان .  
ويعتبرُ الإباضية أنفسهم أتباعاً وأحفاداً لأولئك الثوّار الروّاد الذين تصفهم المصادر الإباضية بـ (جماعة المسلمين) ، وهو الاسم الذي تطلقه الإباضية فيما بعد على نفسها ، وتعتبره وفقاً على أتباعها دون غيرهم ، أما بقية المسلمين فيصفونهم بـ (الموحدين) .  
كما أنهم يذكرون أن علياً رضي الله تعالى عنه لما وليّ خلافة المسلمين وجّه نقداً صريحاً لعثمان رضي الله تعالى عنه من على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل إنهم يذكرون أن عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تُخرج المصحف من حجرها وتقول :

«أشهد بالله لقد كفرَ عثمانُ بما في هذا المصحف» !!!

لكن الزبير وطلحة لم يزالا بها حتى خدعاها وأخرجها من بيتها ضدَّ عليٍّ مطالبة بدم عثمان ، إلا أنها تابت وندمت على ذلك ، ورجعت بعد مقتل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهم جميعاً<sup>(١٢)</sup> .

وتتفق عدد من المصادر التاريخية<sup>(١٣)</sup> أنه بعد معركة صفّين (سنة ٣٦ هـ) بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ، حين خرج معاوية مطالباً بدم عثمان رضي الله تعالى عنه ، لجأ الفريقان إلى تحكيم كتاب الله تعالى بينهم<sup>(١٤)</sup> ، لكن فرقة من أتباع علي رضي الله تعالى

---

(١٢) معمر ، «الإباضية في موكب التاريخ» ، (ص : ٢٢) بتصرف .

(١٣) كما يظهر في كتاب الدكتور خليفات ، «نشأة الحركة الإباضية» (ص : ٥٢ - ٥٥) .

ومن هذه المصادر «تاريخ الأمم والملوك» المعروف باسم «تاريخ الطبري» ، وكذلك «الأنساب» للبلانري ، وغيرها .

(١٤) يصف معمر ، «الإباضية في موكب التاريخ» جماعة معاوية رضي الله تعالى عنه الذين رفعوا المصاحف بأنهم ثائرون لجأوا إلى الحيلة والخدعة والمكر والمكيدة ، ويصفُ علياً رضي الله تعالى عنه في هذه المرحلة بأنه (الخليفة الشرعي) .

وبعد عرض أهل الشام الهدنة والتحكيم فطن علي رضي الله تعالى عنه لذلك ، هو وبعضٌ من جيشه ، لكنه بدلاً من أن يقف موقفَ الحازم ، ويوالي حربه ضد الثائرين والبعاة ، استجاب لدعاة الهزيمة وطلاب الدّعة الذين كانوا موعودين من معاوية وعمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، فانتهت ثورتهم

عنه عارضوا حالة التحكيم هذه ؛ مسوِّغين ذلك بأن لا حكم إلا حكم الله تعالى ، وأنه لا يجوز تحكيم الرجال في أمر من أمور الله تعالى .  
ثم انشقوا عن علي رضي الله تعالى عنه فنزلوا حروراء<sup>(١٥)</sup> قرب الكوفة ؛ فسمُّوا بـ (الحرورية) أو (المُحكِّمة)<sup>(١٦)</sup> ، إلا أن قسماً منهم كان يصلي خلف علي رضي الله تعالى عنه

---

إلى هذا الموقف المائع ، الذي جعل حقَّ علي في الخلافة يتساوى مع حق معاوية ، وجعل نصيب البغاة الثائرين من الصواب يساوي نصيب جيش الأمة الذي يدافع عن خلافة شرعية تمت بالشورى ، وانعقدت بالبيعة . (ص : ٢٢) ملخصاً .

ويصفُ معمر قضية التحكيم بأنها ظالمة . (ص : ٢٣ و ٢٤) .  
**قلت** : معروف أن علياً رضي الله تعالى عنه أرغمه قتلة عثمان على البيعة ، وما كانت بالشورى بادئ الأمر ، لكنه رأى فيها مصلحة الأمة واجتماعها ، وكذلك أشار عليه الصحابة ، فقبل ، وكانت عرضت على غيره فرفضوا ، لكن بعد أن تمت له على هذا الوجه من معظم الصحابة الذين كانوا حوله آنذاك ، فهو أحق بها من غيره .

ولا جرى التحكيم كما ينقلون .  
وانظر بيان هذه الأمور كلها في «العواصم من القواصم» ، لابن العربي المالكي ، (ص : ١٧٥) .  
(١٥) بفتحيتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة ؛ كذا ضبطها الحموي ؛ أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ، «معجم البلدان» ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، (٢/٤٥٤) .  
(١٦) ينقل الدكتور خليفات (ص : ٥٩ و ٦٠) عن المصادر الإباضية أنه كانت هناك مراسلات سرية بين علي وبين معاوية رضي الله تعالى عنهما بعد رفع المصاحف والتحكيم ، قيلَ فيها عليٌّ أن يحوِّ لقبه (أمير المؤمنين) نزولاً عند طلب معاوية ، ولما بلغ أصحابه ما فعل خاطبوه وقالوا : «ما حملك أن تخلع نفسك من اسم سَمَّاك به المسلمون ؟ ألسْتَ أمير المؤمنين ومعاوية أمير الكافرين ؟ فثُبَّ مما صنعت» ؛ فتاب من ذلك .

ثم إن معاوية كاتب علياً سراً وطلب منه إمضاء العهد الذي أخذ على نفسه في التحكيم ، فاختار عليُّ أبا موسى الأشعري من جنده ، واختار معاوية عمرو بن العاص ليحكم بينهما فيما اختلف فيه . ولما علم المسلمون (المُحكِّمة) ذلك وتحققوا منه الحكومة بعد التوبة ؛ فارقوه ، ونزلوا أرضاً من أرض الكوفة يقال لها : (حروراء) ، واجتمع فيها يومئذ عشرة آلاف من خيار الصحابة ورؤساء المسلمين وفقهائهم وقرائهم وعلمائهم .

أما معمر في كتابه «الإباضية في موكب التاريخ» في (ص : ٢٣) فيتهم علياً رضي الله تعالى عنه بأنه يشكُّ في نفسه والحق الذي بيده ، وأنه تنازل عن الشرف الذي أولاه المسلمون ، وأنه ساوى بينه وبين أعد عماله ، ورضخ (الصواب لغة : خضع) إلى تحكيم رجال فيما نزل فيه حكم الله . ثم يبين أن من لم يرضَ بالتحكيم حكموا على بيعة علي بأنها قد انفسخت بموافقة على الهدنة ورضائه بالتحكيم ، وأنه لم يبق لأحد بيعة في أعناقهم وليس لأحد ميثاق عليهم . ويصف موقفهم بأنه سلبي ومحايِد .

في مسجد الكوفة ، لكن كانوا كثيراً ما يقاطعونه في أثناء خطبه بقولهم : « لا حكم إلا لله » .  
غير أنهم بقوا على قناعتهم في رفض التحكيم ، وأصرُّوا على علي رضي الله تعالى عنه في ذلك ، فرفض ذلك ، فانتخبوا عبد الله بن وهب الراسبي إماماً لهم<sup>(١٧)</sup> ، وكتبوا مؤيديهم في البصرة لملاقاتهم في النهروان<sup>(١٨)</sup> ، فخرجوا ، وخرج علي رضي الله تعالى عنه لملاقاتهم ، فرجع قسم منهم إلى علي رضي الله تعالى عنه<sup>(١٩)</sup> ، وقسم بقوا على الحياء ، أما القسم الثالث بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي فبقي على رأيهم ؛ فقاتلهم علي رضي الله تعالى عنه ، فهزمهم في وقعة النهروان الشهيرة (عام ٣٨ هـ) <sup>(٢٠) (٢١)</sup> .  
لكن لم يقض عليهم نهائياً ؛ فبقي أقوام قلائل يثورون عليه بين وقت وآخر ، لكنهم يُهزمون دائماً ، إلى أن استشهد رضي الله تعالى عنه على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي

---

(١٧) يصفه علي يحيى معمر (ص : ٢٥) بأنه وصل إلى منصب الخلافة عن طريق البيعة ، وهو الطريق الشرعي للخلافة ، و(ص : ٢٦) : وأنه الخليفة الذي بايعه جمهور من الأمة ، فيهم كثير من كبار الصحابة ، من بينهم بعض المشهود لهم بالجنة . على حدِّ قوله .  
(١٨) النهروان منطقة بالقرب من المكان الذي بُنيت فيه بغداد فيما بعد . خليفات ، «نشأة الحركة الإباضية» (ص : ٥٣) .

(١٩) وينقل الدكتور خليفات (ص : ٦٠ — ٦١) عن المصادر الإباضية أنه بعد أن خدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري فأثبت معاوية خليفة بعد أن خلع أبو موسى علياً ، تذكر المصادر أن علياً أراد الرجوع إلى أهل النهروان ؛ فراسلهم برسائل ليرجعوا إلى ما كان سابقاً ، لكنهم لم يجيبوه إلى طلبه ، وكانت ردودهم بلهجة قاسية ، فأرسل إليهم ابن عباس ليخاصمهم ، ويقنعهم ، لكن ابن عباس اقتنع بوجهة نظرهم ، وأنهم خصموه ، ثم اعتزل الطرفين لأن علياً أقوى منهم ، وإن لم يكن معهم لم يكن ليكون عليهم .  
وهنا أتبه على أمر في قضية التحكيم وهي أن التحكيم لم يكن كذلك ؛ بل كان أن خلع كل واحد من المحكمين صاحبه ؛ كما بين ذلك القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في كتابه «العواصم من القواصم» (ص : ١٧٩ — ١٨٠) ؛ حيث قال : «هذا كله كذب صراح ؛ ما جرى منه حرف قط ، وإنما هو شيء اخترعته المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك ؛ فتوارثته أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع» ، ثم بين الروايات المنقولة عن الثقات في ذلك .

(٢٠) لكن الدكتور خليفات ينقل (ص : ٦٠) عنهم أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه طلب إلى علي رضي الله تعالى عنه أن يكفِّه هؤلاء ، فكاد علي أن يوافق ، إلا أن أصحابه نصحوه بألا يفعل ؛ خوفاً من أن تكون سابقة يتدخل معاوية بسببها في شؤون العراق .

(٢١) ينقل خليفات عن الإباضية : أن عدد من مات في النهروان من (المحكمة) (٤٠٠٠) رجل ، منهم صحابة ومعظمهم كان القراء والفقهاء ، وأهل الشرف ، ثم ندم علي رضي الله تعالى عنه وقال : «بئس ما صنعنا ؛ قتلنا خيارنا وفقهاءنا» ، ثم لاقى الخذلان تلوا الخذلان حتى لاقى حتفه على يد ابن ملجم المرادي .

(عام ٤٠ هـ).

لم ينته (الخوارج)<sup>(٢٢)</sup> عند ذلك ؛ فبقوا خارجين على أي خليفة للمسلمين من غيرهم ؛

(٢٢) يذكر علي يحيى معمر (ص : ٢٦) أن من سمى هذه الجماعة بهذا الاسم إنما أراد الربط بين المعنى السياسي والمعنى الديني ، بمعنى الخروج من الدين ، على أنهم (كما يصفهم) : تلك الطائفة من المسلمين التي اعتزلت علماً عند التحكيم ، وبايعت عبد الله بن وهب إماماً ، و**ثارت على الظلم** ، وفساد الحكم في الدولة الأموية ومن بعدها ممن سار في ذلك الطريق ، و**تنكب** عن سيرة الخلفاء الراشدين ، و(ص : ٢٧) بأنهم ينادون في إصرار وشدة بالمبادئ العادلة في الخلافة .

و(ص : ٣٠) وصفهم بأن معهم الحجة والبرهان ، وأن خلافة علي بعد التحكيم باطلة ، والبيعة ساقطة عن الأعناق ، وأن الخليفة الحق هو عبد الله بن وهب الراسبي الذي بايعه جمهور غير قليل من المسلمين ، و(ص : ٣١) بأن فكرتهم فيها من الصدق والصراحة والواقعية .

والذين سموهم بذلك هم كُتّاب الأمويين أو الشيعة الذين رأوا في هذه الجماعة عدواً مشتركاً ؛ فوضعوا مئات الأحاديث المكدوبة في الطعن على الخوارج والتشنيع عليهم ، ونسبة المروق والكفر إليهم .  
ووصف (ص : ٢٧) المهلب بن أبي صفرة بأنه القائد الذي ضحّى بدينه لدنيا بني أمية ، وأنه من أكثر الواضعين لهذه الأحاديث المكدوبة ، وقد اعتمد معمر في مقولته هذه على كلام أحمد أمين في «فجر الإسلام» !!!

**قلت** : غير أن أئمة النقد في الرجال والحديث الحافظان الذهبي والعسقلاني وصفاه بأنه صدوق ديّ شجاع ، ميمون النقيية ، من ثقات الأمراء ، وكان عارفاً بالحرب ؛ فكان أعداؤه يرمونه بالكذب . (كما في «الكاشف» للذهبي ، و«التقريب» لابن حجر) .

ويحمل معمر اسم (الخوارج) على المرتدين في عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ؛ لتحقيق المعنى السياسي والديني ، أما من قام بالخروج فيما بعد (طلحة والزبير ومعاوية رضي الله تعالى عنهم ، ومن خرج على عثمان رضي الله تعالى عنه) فهم خوارج بالمعنى السياسي ، لأنهم ثاروا غير منكرين لأصل من أصول الإسلام ، ولا مكذبين لأمر معلوم بالدين بالضرورة ، ومع كل طائفة منهم صحابة كبار .  
لذلك فإنه يحمل أحاديث المروق على الطائفة التي خرجت زمن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، دون أن يتطرق للطائفة التي خرجت على علي رضي الله تعالى عنه بعد التحكيم أبداً ؛ فقد اعتبرها طائفة المسلمين الذين ثاروا على الظلم ، وعلى من تنكب عن الخلافة الراشدة والعدل) .

**قلت** : فإذا كان هذا هو اصطلاحه لمعنى الخوارج فله ذلك ؛ فلا مشاحة في الاصطلاح ، وهو نفسه يقول : «إطلاق اسم على مجموعة من الناس ليس بذي أهمية إذا كان هذا مجرد تسمية» (ص : ٣١) ، أما عندنا فإن الخوارج هم من خرج على علي رضي الله تعالى عنه بعد حادثة التحكيم المعروفة ، وحكموا بكفر الحكميين ومن رضي بحكمهم لأنه لا حكم إلا لله ، ولا حكم للرجال ، والتي ثبتت أخبارها ، وليست التي رآها ورواها المبتدعة ؛ كما يقول ابن العربي المالكي رحمه الله تعالى (ص : ١٧٩) .

وفي هذا الذي ذهب إليه معمر تناقض مع ما أثبتته عليهم الدكتور خليفات بأنهم (خوارج) ، وقد اعتمدوا كتابه ونشروه على مواقعهم على الإنترنت ، بل ويمدحونه في كتبهم .



لاعتقادهم أنه لم يأتِ إلى الحكم عن طريق الشورى التي ينادون بها ، ورغم ذلك فمن المعتقد أن مناداة الخوارج بهذا المبدأ في تلك المرحلة لم يكن إلا مسوغاً دينياً تَبَنُّوهُ للثورة على الخليفة الشرعي .

الأمر الذي كان مُسَوِّغاً للثورة على سلطة قريش ، وزعامة المسلمين الأوائل المتمثلة بالمهاجرين والأنصار ، ولم يكن بالصورة التي يزعمونها .

ويستدل الدكتور خليفات على ذلك بأنهم لم يتقيدوا بهذا المبدأ عندما نجحوا في تأسيس دول خاصة بهم ؛ كدولة الرستميين الإباضية ، ودولة بني مدرار الصفرية مثلاً .

لذلك فإن المتتبع لهذه الثورات الخارجية والشعارات التي رفعها قادتها يجد أن بعضاً من الخوارج قد اتسم بالعنف والتطرف منذ بداية حركتهم ؛ من ذلك البراءة من مخالفيهم واعتبارهم (كافرين) إلا إذا تابوا .

وتبعاً لذلك فقد اعتبر الخوارج كلَّ من عارضهم (في ضلال) ، وأنهم وحدهم الذين يمثلون الحقَّ ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وانطلاقاً من ذلك اعتبروا خروجهم بمثابة هجرة من دار الباطل والظلم إلى (دار الحق) والجهاد ؛ مشبِّهين ذلك بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، متأولين قول الله عز وجل : ﴿وَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \*

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص : ٢١ - ٢٢] .

وكثرَت الدعوة بين الخوارج للابتعاد عن بقية المسلمين ، والهجرة إلى مكان آخر ؛

---

وفي كلام معمر أيضاً المدح لفعل الخوارج ، وهو إباضي معاصر ؛ ما يدل على موافقتهم لأحوال الخوارج من أول يوم ، إلى لحظة اختلاف ابن إياض مع ابن صفار — كما سيأتي — ، ثم تميزهم بعد ذلك بما أنكر على نافع بن الأزرق ، وهو يصفه وجماعته بأنهم خوارج لأنهم أخطأوا تأويل آيات الكتاب ورد بعض الآيات وإبطال الأحكام ، وإنزال أحكام وردت في المشركين على المسلمين ، وليس لأنهم انفصلوا وخرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أو على الأمويين ، فكلمة (الخوارج) عنده لا تطلق إلا على الذين خرجوا من الدين ؛ لذلك فإنه ينفي عن الإباضية أن يكونوا من الخوارج . (انظر ص : ٣٤ - ٣٥) ، وانظر أيضاً : أعوش ، بكير بن سعيد ، «دراسات إسلامية في الأصول الإباضية» (ص : ٢٩ - ٤٢) (معاصر) . غير أنني لم ألمس منه التصريح بتكفير أحد من الصحابة أبداً ، بل ذكر (ص : ٣٢) أنه يُجِلُّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه يدع له صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأنه لا يقول فيهم إلا خيراً ، أما من عيَّبَ عليه مَسَلَكٌ أو قولٌ فإنه لا يجاوز فيه ذلك الذي ورد .

قلت : والمشكلة عندنا هي فيما ورد . وهل آفة الأخبار إلا روايتها ؟! والله تعالى المستعان .

حيث يقيمون (دولة الحق) ، ويستأنفون الجهاد ضد الكفار (بقية المسلمين) ، وسماهم الراسبي<sup>٢٣</sup> بـ (أهل الحق) في أحد خطاباته لهم .

وانطلاقاً من هذه النظرة لبقية المسلمين فقد أحلّ قسمٌ منهم قتلَ مخالفيهم من المسلمين باعتبارهم (كفرة مرتدين) ، وأمّنوا أهلَ الذمة وحمّوهم ، وبدأوا استعراضَ المسلمين وقتلهم ، وتطورت هذه العادة القبيحة عند الأزارقة فيما بعد ؛ حتى إنهم جَوّزُوا قتلَ النساء والأطفال الصغار .

مع ذلك كانت دعوتهم وشملهم قد بدأ بالتفرّق والتشتّت ؛ وذلك كون الكوفة كانت تشيع لآل البيت ، ولأن ثوراتهم كانت قليلة العدد ، ومتفرقة ، ولم يتفقوا تحت قيادة واحدة بعد النهروان أبداً ، كما أنه لم يكن عندهم تنظيم ولا تخطيط ، فتم القضاء عليهم .

أما خوارج البصرة فقد قاموا بين عامي (٤١ - ٦٤هـ) بعدة ثورات مشابهة ، ولم يحالف النجاح أيّاً منها ؛ لانفجارها للوحدة والتنظيم ، ولتطرف أتباعها ؛ مما أثار أهل البصرة ضدهم<sup>(٢٣)</sup> .

كذلك فإن من الأمور التي كانت سبباً في القضاء على الخوارج وخروجهم من البصرة أن أهل البصرة أنفسهم اتفقوا واصطلحوا ؛ ولا سيّما الأزدي وبنو تميم ، فالتبعوا نافع بن الأزرق ومن معه من الخوارج وأخافوهم ، إلا قليلاً منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك ؛ منهم : عبد الله بن إباح<sup>(٢٤)</sup> .

وكان للسياسة الشديدة القاسية التي اتبعتها الولاية ضدهم ، وبخاصة زياد بن أبي سفيان وابنه عبيد الله دور فعال ، وأساس في إحباط جهودهم ، وعدم إتاحة الفرصة لنجاح حركاتهم<sup>(٢٥)</sup> .

وبينما كان الخوارج المتطرفون يقومون بثوراتهم وحركاتهم ضد الأمويين وولاتهم ، ويتعرضون من جرّاء ذلك للقتل والتشريد ، ويواجهون السُخْط والاستتكار من قبل السكان ، كانت هناك جماعة انشقت بعد النهروان ، واتخذت مدينة البصرة مقراً لها ، وأثرت السِّلْم

---

(٢٣) انظر : خليفات ، «نشأة الحركة الإباضية» (ص : ٦٤ وما بعدها) بتصرف .

(٢٤) انظر : الطبري ، محمد بن جعفر ، «تاريخ الأمم والملوك» المعروف بـ «تاريخ الطبري»

، دار الكتب العلمية ، بيروت (٣/٣٩٩) .

(٢٥) الطبري (٣/٢٥٤) ، وكان ممن تم قتله عروة بن أدية الذي تقول الإباضية : إن أبا عبيدة

مسلم ابن أبي كريمة مولاة - كما سيأتي في ترجمته - . وذكر الطبري أن قتله كان سنة (٥٨ هـ) ، لكن سيأتي أنه قُتل سنة (٦١ هـ) أيضاً .

وعدم اللجوء للسيف لفرض آرائها ، وقد تزعم هذه الجماعة أبو بلال مرداس بن أدية التميمي<sup>(٢٦)</sup> ، وكونت هذه الجماعة البذرة التي أنتجت ما عُرف في التاريخ الإسلامي بـ (الفرقة الإباضية) .

وحسب المصادر الإباضية التي يعتمد عليها الدكتور عوض خليفات<sup>(٢٧)</sup> فإن أبا بلال لجأ إلى الدعوة بالكلام والحوار ، دون حمل السيف والقتال إلا لمن قاتلهم ، وأنكر قتل المخالفين واستعراض الناس على طريقة الخوارج المتطرفين ، فاجتمع عليه ناس كثير ، وبنوا مسجداً ، ما جعل زياد بن أبي سفيان يحسن إليه وإلى من مثله من (خوارج القعدة) ، وهو اللقب الذي لُقّبوا به من قبل الخوارج المتطرفين ؛ حيث قعدوا عن الجهاد في سبيل الله تعالى ومحاربة الولاة الظالمين .

وكان أهل السنة يسمونهم (الحرورية) ، أو (المحكمة) كما يطلقون هم على أنفسهم ، وكذلك (الشرأة) أيضاً<sup>(٢٨)</sup> .

لكن لما ولي عبيد الله بن زياد استعمل العنف ضد الجميع ؛ متطرفين ومعتدلين ، فلجأ المعتدلون إلى التنظيم السري ، لكن عبيد الله كان متنبهاً لذلك فراقبهم مراقبة شديدة ، وبثّ العيون والجواسيس لمكافحتهم .

---

(٢٦) يذكر الدكتور خليفات (ص : ٦٥) أنه شهد صفين مع علي ، والنهروان ضده ؛ حيث أنكر التحكيم . ولم أقف له على ترجمة في كتب أهل السنة .

إلا أن الطبري أورد في «تاريخه» (٢٥٤/٣) شيئاً من خبره ، وأنه كان من الخوارج الذين أراد قتلهم عبيد الله بن زياد ، إلا أن شفاعته سَجَّاهه أنقذته ، فقد كان ظنّاً لعبيد الله ، غير أن مرداساً خرج إلى الأهواز بعد ذلك في أربعين من أصحابه ، فبعث إليهم ابن زياد جيشاً فقتلهم . وكان ذلك سنة (٦١ هـ) كما عند الطبري (٣٤٤/٣) .

لكن الدكتور خليفات (ص : ٦٩) ذكر إطلاق سراح مرداس ، وقال : «ولا تشير المصادر المتوافرة إلى سبب عفو عن أبي بلال» . وعلل ذلك باحتمال أن ابن زياد خاف من إثارة بني تميم قبيلة أبي بلال مرداس .

وسبق أن بينا أنه قتل أخاه عروة بن أدية ، ثم قتله في (أسك) كما يأتي .

مع أن الدكتور خليفات ينقل عن الطبري ، وكتب إباضية وغيرها .

(٢٧) خليفات ، (ص : ٦٥ وما بعدها) .

(٢٨) الإباضية يسمون أنفسهم بهذا ، ويذكرون ذلك في كتبهم ؛ كما عند أعوشة ؛ «دراسات

إسلامية في الأصول الإباضية» .

ثم حبس أبا بلال ، ثم عفا عنه<sup>(٢٩)</sup> ، لكن خرج أبو بلال على عبيد الله بن زياد في الأهواز في (أسك) فبعث إليه ابن زياد بجيش فقتله ، ما أثار نقمة عدد كبير من الخوارج المتطرفين والمعتدلين ؛ فمدحوا أبا بلال بالشعر وذكروا محاسنه حتى جعلوه مثلاً أعلى لهم ، فصمموا على الأخذ بالثأر ؛ فاستطاع نفرٌ من أتباعه اغتيال عبّاد بن علقمة المازني قائد الجيش الذي أباد مرداساً وأصحابه .

ومنذ ذلك الوقت أصبح الاغتيال السري وسيلة هامة لدى القعدة — والإباضية فيما بعد — للتخلص من كل شخص يحاول إيذاءهم أو يتسبب في قتل أحد منهم . وهذا الأمر جعل ابن زياد ينقم عليهم بشدة ؛ فسجن بعضهم ، وقتل بعضهم من بينهم عروة بن أدية أخو مرداس<sup>(٣٠)</sup> .

ثم عندما ثار ابن الزبير في الحجاز انضم القعدة إليه دفاعاً عن البيت ، وحاولوا مع ابن الزبير بأن يتبنى رأيهم فينصرونه ، لكنه أبى ذلك ؛ فاختلّفوا معه<sup>(٣١)</sup> . ثم بعد رجوعهم إلى البصرة انقسموا بين مُحَرِّمٍ للمُقام بين أظهر المشركين (المخالفين) وهم نافع بن الأزرق ومنّ معه من جماعته ، وبين آخرين لا يرون الخروج آنذاك وآثروا القعود ؛ حيث كَفَّرَ نافعٌ ومن معه القعدة ، واعتبرَهم (مشركين مخالفين كبقية المسلمين) ؛ فأحلوا دماءهم وأموالهم .

وبهذا بدأ الانقسام النهائي بين الخوارج المتطرفين والمعتدلين أو القعدة<sup>(٣٢)</sup> . وكان زعيم القعدة آنذاك عمران بن حِطّان ، وكان محدثاً وعالماً وفقهياً ، وسار على منوال أبي بلال في نشر دعوته ، وإنكار الاستعراض ، وتحريم أموال بقية المسلمين ودمائهم ، وقد انقسم (القعدة) في وقت لاحق إلى (إباضية وصُفْرية) . فكونه كان زعيماً للقعدة فإن كلاً من الإباضية والصُفْرية يعتبرونه أحد علمائهم ، لكن الصُفْرية تعتبره المؤسسَ الفقهي لفرقتهم ، والإباضية تعتبر جابر بن زيد المؤسس الفقهي لفرقتهم<sup>(٣٣)</sup> .

---

(٢٩) سبق الكلام في هذا في الصفحة السابقة .

(٣٠) سبق بيان أن عروة قتل سنة (٥٨ هـ) كما في «تاريخ الطبري» .

(٣١) انظر : الطبري ، «التاريخ» (٣/٣٩٧ وما بعدها) .

(٣٢) كما يذكر الدكتور خليفات (ص : ٧١) .

(٣٣) انظر : خليفات (ص : ٧١) بتصرف .

مع ذلك لا نجد أي وجود لجابر بن زيد في حياة الخوارج ، مع أن جابر بن زيد كان قد تجاوز

لكن بعد عهد ابن الزبير عادت الأمور إلى ما كانت عليه من المعارضة العلنية للأمويين دون اللجوء إلى السلاح ؛ فحبسَ الحجاجُ عمرانَ بنَ حطان ، ثم عفا عنه ، فجاءه أتباعه يطلبون إليه الخروج على الحجاج ، فأبى ، فانقسم القعدة إلى (صُفوية) يرون الخروج والثورة ، دون الحكم على من قعد بأنه كافر — كما فعلت الأزارقة من قبل — . وإلى (إباضية) أثرت الاستمرار في القعود حتى تحين الفرصة المناسبة للانقضاض على الحكم القائم ، وتأسيس الإمامة طبقاً لمبادئهم . أما عمران فاعتزل الجميع وثرَّحَلَ إلى مناطق متعددة آخرها عُمان وتوفي فيها .

### المطلب الثاني : تسمية الإباضية .

(الإباضية)<sup>(٣٤)</sup> تسمية نسبة إلى أبي عمرو عبد الله بن إياض بن عمرو المري التميمي (٦٧ هـ)<sup>(٣٥)</sup> .

---

الأربعين عند انضمام القعدة لابن الزبير ، وكانوا في البصرة ، والخلافات التي كانت موجودة لم يكن جابر ابن زيد أحد الأطراف فيها .

كيفية يكون المؤسس لفرقة الإباضية الخارجية بعد كل تلك المراحل التي مرَّت عليها ، ولم يكن فيها ؟! (٣٤) يذكر الدكتور خليفات (ص : ٨١) أنَّ أول ظهور لهذا الاسم في كتب الإباضية كان في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري .

(٣٥) يقول الدكتور خليفات (ص : ٧٥) : «على الرغم من اضطراب المعلومات الواردة في المصادر حول تسمية الإباضية ، وتاريخ نشأتها ، وكيفية ذلك ، إلا أن معظم المصادر غير الإباضية تشير إلى أن هذه الفرقة سُمِّيَتْ بهذا الاسم نسبة إلى عبد الله بن إياض ؛ الذي ينتمي إلى قبيلة تميم» . ويقول أعوش (ص : ٢٠) بأن هذه التسمية جاءت من طرف الأمويين ، ونسبوه إلى عبد الله بن إياض ، وتعود التسمية إلى المواقف الكلامية والجدالية والسياسية التي اشتهر بها عبد الله بن إياض تلك الفترة ، وكذلك نسبها النامي (ص : ٤٣) .

**قلت :** ترجم له أعوش (ص : ٢٢ — ٢٣) بقوله : «هو عبد الله بن إياض التميمي ، ولد في زمن معاوية (٤٠ — ٦٠ هـ) ، وتوفي في آخر زمان عبد الملك بن مروان . ويُعد من أتباع جابر بن زيد ، وقد اهتم بالجوانب السياسية ، والكلامية ، والعسكرية ، والتنظيم ، والتخطيط ، لتكوين دولة إسلامية معتمدة على الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين ، وفي داره كانت تعقد هذه الحلقات من طرف تلاميذ جابر بن زيد وأنصارهم ، وقد جاء في «طبقات الدرجيني» ما يلي : «كان عبد الله بن إياض إمام أهل الطريق ، وجامع الكلمة لمَّا وقع التفريق ؛ فهو العمدة في الاعتقادات ، والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات ، والمؤسس لأبنية هي مستندات الأسلاف ، والمهدم لما اعتمده أهل الخلاف» ، والوحيد من أهل السنة الذي رأيته ترجم

وهم ينسبون إليه من ناحية النسبة فقط ، لكن لا يعتبرونه المؤسس الحقيقي للفرقة الإباضية ؛ فقد قيل إنه رجع عن بدعته ؛ فتبرأ أصحابه منه ، واستمرت نسبتهم إليه<sup>(٣٦)</sup> .  
فهم يعتبرون جابر بن زيد أبا الشعثاء (٩٣ هـ) المؤسس الحقيقي لفرقتهم ، على الرغم من تبرئهم منهم ؛ كما سيأتي في مبحث مستقل آخر الدراسة .  
وفي ذلك يقول الدكتور عوض خليفات<sup>(٣٧)</sup> :

«معظم المصادر بما فيها الإباضية تشير إلى أن اسم الفرقة الإباضية مشتق من اسم عبد الله بن إياض» .

لكنه نقل عن علي يحيى معمر في كتابه «الإباضية بين الفرق الإسلامية» أنه يُنكر وجود ابن إياض في التاريخ الإباضي بالكلية ، كما أن الآراء المنسوبة إليه وإلى فرقته بعيدة كل البعد عن الإباضية ومبادئها<sup>(٣٨)</sup> .

قلت : لكنني وجدت علي يحيى معمر قد أقرَّ أبا الحسن الأشعري رحمه الله تعالى على أن عبد الله بن إياض أحد أئمة الفرقة ؛ حيث قال<sup>(٣٩)</sup> :

«ولعله من المهم أن أوضح للقارئ الكريم في هذا الفصل أن جميع الأسماء التي وردت في الفصل الذي كتبه أبو الحسن عن الإباضية لا علاقة لها بالإباضية ، فيما عدا اسمين» ؛ فذكر عبد الله بن إياض ، قال : «وهو الإمام الذي يُنسب إليه المذهب» .

ثم ذكر الدكتور خليفات أنه لا تعرف عن ابن إياض إلا معلومات يسيرة لا تكفي لتوضيح دوره في نشأة الحركة الإباضية وتطورها ، ولا ما يكفي عن حياته ، ولا متى انضم إلى الحركة ، ولا مدى تأثيره فيها ، ولا يرد اسمه في المصادر قبل اشتراكه في محاربة الجيش الشامي الأموي بجانب ابن الزبير عام (٦٣ هـ)<sup>(٤٠)</sup> .

---

له هو الحافظ ابن حجر العسقلاني ؛ كما سيأتي قريباً .

(٣٦) كما في ترجمته عند الحافظ ابن حجر ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، «لسان الميزان» ، تحقيق دائرة المعارف النظامية — الهند ، نشر (تصوير) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات — بيروت ، (٤٢٨/٣) .

(٣٧) خليفات ، مرجع السابق (ص : ٧٦) .

(٣٨) خليفات ، الموضع السابق .

(٣٩) علي يحيى معمر ، «الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث» ، دار الحكمة ، لندن ، ط ٤ ، ١٤٢٢ هـ — ٢٠٠١ م ، (ص : ٤١) ، وانظر له أيضاً في ذلك : «الإباضية في موكب التاريخ» (ص : ١٢٧ و ١٣٧) .

(٤٠) وانظر : النامي (ص : ٤٣ — ٤٩) .

غير أن الدكتور خليفات — على الرغم من تشكيكه في قبول هذه المعلومة التي ينقلها — ينقل عن أحد علماء الإباضية المعاصرين (محمد يوسف اطفيش) قوله بأن ابن إياض كان صاحبياً لفترة قصيرة .

**قلت :** وهذا الأمر بعيد جداً ؛ حيث إن إيراد ابن حجر له في «اللسان» أكبر دليل على بطلان ذلك ، ولم أجده أورده في «الإصابة» حتى في أقسام من لا تثبت صحبته . والله تعالى أعلم .

أما سبب اشتراكه مع ابن الزبير في قتاله للأمويين فيقول الدكتور خليفات<sup>(٤١)</sup> : «وكان قد ذهب إلى مكة مع بعض قادة المحكمة مثل نجدة بن عامر الحنفي ، ونافع بن الأزرق وغيرهم مدفوعين برغبتهم وحماسهم في الدفاع عن البيت الحرام ، على الرغم من اختلافهم في المبادئ مع ابن الزبير» .

ويضيف بأن ابن إياض كان من المحكمة القعدة الذين حاولوا إقناع ابن الزبير برأيهم ، ومنه : التبرؤ من عثمان وعلي وطلحة ووالده الزبير رضي الله تعالى عنهم جميعاً ، فإن هو اقتنع نصره ، لكن ابن الزبير أبى ذلك ، ورفض مقاتلتهم ، فتركوا مكة ، ومنهم عبد الله بن إياض ، ورجعوا إلى البصرة (سنة ٦٤ هـ)<sup>(٤٢)</sup> .

وكان ابن إياض على قول نافع بن الأزرق السابق في وجوب الخروج ، إلا أنه أثار القعود بعد ذلك ، وكنتم أمره ، فكان أبرز الخوارج القعدة المعتدلين المسالمين<sup>(٤٣)</sup> . فأدى هذا التباين في المواقف السياسية إلى تباين في المسائل العقدية .

ثم بعث نافع بن الأزرق كتاباً إلى عبد الله بن إياض وعبد الله بن صفار (زعيم الصفرية بعد ذاك) يطلب إليهم اللّحوق به ، ويبين لهم أن المقيمين بين ظهورهم هم من (المشركين) الذين لا تجوز مناكحتهم والمقام بين أظهرهم ، بل هم أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فهم أعداء لهم ، وحنّهم على ذلك .

فلما وصل الكتاب إلى ابن صفار أخفاه خلف ظهره خوفاً من تفرّق من كان معهم ، ولما قرأه عبد الله بن إياض قال :

«قاتله الله ! أيّ رأي رأى !!

صدّق نافع بن الأزرق لو كان القوم مشركين ؛ كان أصوب الناس رأياً وحكماً فيما

---

(٤١) خليفات ، مرجع السابق (ص : ٧٧) .

(٤٢) انظر أيضاً : الطبري ؛ «التاريخ» (٣/ ٣٩٨) .

(٤٣) انظر : خليفات ، مرجع سابق (ص : ٧٨) .

يشير به ، وكانت سيرته كسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المشركين ، ولكنه قد كذب فيما يقول ؛ إن القوم كُفَّارٌ بالنعم والأحكام ، وهم براء من الشرك ، ولا تحل لنا إلا دماؤهم ، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام» .

فقال ابن صفار : «برئ الله منك ؛ فقد قصرتَ ، وبرئ الله من ابن الأزرق ؛ فقد غلا ، برئ الله منكما جميعاً» ، وقال الآخر : «فبرئ الله منك ومنه»<sup>(٤٤)</sup> .

والذي يبدو — والله تعالى أعلم — أن هذا الانقسام بين الخوارج القعدة إثر كتاب نافع بن الأزرق ، وموقف ابن إياض وابن صفار منه هو الذي أدى إلى ظهور فرقتين في الخوارج القعدة ؛ هم :

الصفيرية : أتباع عبد الله بن صفار ؛ فكان مؤسسها بواقع الحال ، وإليه نسبت .  
والإباضية : أتباع عبد الله بن إياض ؛ فكان مؤسسها بواقع الحال ، وإليه نسبت .  
ولم أجد في «تاريخ الطبري» أخباراً عن ابن إياض سوى ما هنا ، وكذلك يذكر الدكتور خليفات أنه ليس لابن إياض بعد هذه الحادثة ذكر ، حيث صار عمران بن حطان المتكلم باسم الإباضية في الدفاع عنهم<sup>(٤٥)</sup> .

ويقول<sup>(٤٦)</sup> : «أما المصادر الإباضية فتنسب إلى عبد الله بن إياض دوراً ثانوياً بالمقارنة مع جابر بن زيد الأزدي الذي تعتبره إمام الإباضية (جماعة المسلمين) ومؤسس فقههم ومذهبهم ، وتذكر أن ابن إياض كان يصدر في كل أفعاله وأقواله عن جابر بن زيد . ولكنها في الوقت نفسه تذكر أنه<sup>(٤٧)</sup> كان (إمام أهل التحقيق) ، ورئيساً من بالبصرة

---

(٤٤) أوردها ابن جرير الطبري في «تاريخه» (٣/٣٩٩) ، والدكتور خليفات في كتابه (ص : ٧٨ — ٧٩) مع اختلاف قليل بينهما .

(٤٥) هنا تناقض واضح مع ما سبق (ص : ٢١) من أن عمران بن حطان كان المؤسس الفقهي للصفيرية ؛ فإنه كان إماماً للفرقتين قبل الانقسام ، أما بعد الانقسام فصار ابن إياض ، فكيف يرجع ابن حطان مرة أخرى إلى الواجهة عند الإباضية على الرغم من افتراق الصفيرية والإباضية عقب كتاب نافع بن الأزرق . بل إن الدكتور خليفات ذكر أن عمران اعتزل الجميع بعد الافتراق إلى إباضية وصفيرية ، وسافر إلى عُمان ومات فيها ؛ لم يبق في البصرة أبداً التي مات فيها جابر بن زيد .

وكأن وظيفة ابن إياض كانت الاعتراض على كتاب نافع ، والتفرقة إلى إباضية وصفيرية ، ثم ليجتفي إلى الأبد !

فهذه تناقضات يصعب التوفيق بينها عندي .

(٤٦) خليفات ، (ص : ٧٩ — ٨٠) .

(٤٧) يعني : ابن إياض .



وغيرها من الأمصار ، وتضيف هذه المصادر وتقول : إنه الشخص الذي ناظر الخوارج (المتطرفين)<sup>(٤٨)</sup> والقدرية والمعتزلة والمرجئة والشيعة .

لكن يعترض الدكتور خليفات على هذا فيقول :

«ورغم أن بعض هذه الجماعات لم تكن قد اكتمل تكوينها بعد ، وأن المصادر لم تذكر طبيعة النقاش والجدل بين ابن إياض وبين هذه الفرقة ، إلا أن في القول دلالة على أن ابن إياض كان المناظر حقاً ، والمدافع قولاً عن آراء القعدة من الخوارج .

ولكن الصعب في الأمر هو التوفيق بين كون ابن إياض إمام أهل التحقيق ، ورئيس القعدة ، ورئيس من بالبصرة وغيرها من الأقطار من جهة ، وبين كونه لا يصدر في أفعاله إلا بأوامر جابر بن زيد الذي تعتبره المصادر الإباضية (المؤسس الحقيقي) لدعوتهم» .

ثم ذكر الدكتور خليفات أن جابر بن زيد هو (الإمام الروحي ، والمفتي ، والفقير ، والمبلور) لفكر الإباضية ، وكان (مُخفياً ذلك المعتقد) ، واستعمل (النقية الدينية) ؛ بسبب (الدعوة السريّة)<sup>(٤٩)</sup> التي كانوا يقومون بها ؛ كي لا يبطش به الأعداء والولاة ، وكان ابن إياض المتصدر للدعوة والمناظرة ؛ لذلك نسبت الإباضية لابن إياض ، ولم تنسب لجابر بن زيد .

ثم يبين أن إخفاء حاله هو السبب في عدم معرفة المصادر السنيّة لحقيقة جابر بن زيد ؛ فاعتقدت بأنه لا ينتمي لأي فرقة ، إلا أنه في الواقع (كما يقول خليفات) كان ذا علاقة وثيقة بالخوارج من وقت مبكر ، من قبل مقتل أبي بلال مرداس (٦١ هـ) حتى ، الذي كان يخرج هو نفسه بأمر من جابر بن زيد .

هذه نشأة الإباضية حسب دراسة رجل اطلع على كتبهم بصورة جيدة ، وعاش أحوالهم ، وقام على تحليلها ودراستها ، وأعطى صورة واضحة فيها تمييز للإباضية عن غيرهم من الخوارج ، بغض النظر عن موافقتنا له أو مخالفتنا ، مضافاً إليها ما يوضح بعض

---

(٤٨) هذا المصطلح ليس من مصطلحات المسلمين، صوابه: (الغلاة) .

(٤٩) هذه تعبيرات خليفات في كتابه (ص : ٨٠) !

لكن ناقضه تماماً علي يحيى معمر في مقدمة كتابه «الإباضية في موكب التاريخ» ؛ حيث قال : «المذهب الإباضي ليس مذهباً سرياً ، وليست أصوله التي يبني عليها خافية أو مجهولة ، وليس أتباعه ممن يستترون أو يخفون ، فهم لا يقيمون لغير الله وزناً في هذا الوجود ، ولا ينتظرون عن أعمالهم جزاء من غير الله ، ولا يتبعون في تصرفاتهم غير الحق» .

**قلت** : يأتي في عقائدهم (ص : ٣٦) أن عندهم مرحلة تسمى (الكتمان) من ضمن (مسالك الدين) ؛

فلا أعرف ماذا سيمسها علي معمر !

جوانبها أو يستدرك عليه .

ولن أتكلم عن دور جابر بن زيد في نشأة الإباضية ؛ لأمر :

**الأمر الأول :** أنني سبق أن ذكرت أن جابر بن زيد ليس له دور في نشأة الخوارج ؛

فلم يذكره في أي مرحلة من المراحل إلى زمن عبد الله بن إياض .

بل لم يدخل في أي نوع من أنواع المواجهة والمعارضة مع الولاة ، على الرغم من

أن النّفس الثوري عند الخوارج هو الأبرز ، بل التهور أحياناً ، ولا سيّما في الشباب .

بل إن خليفات رجّح أن اعتماد الإباضية على جابر بن زيد في الروايات كان بسبب

أنه تلميذ ابن عباس ، وابنُ عباس اقتنع (!) بقول أهل النهروان لما بعثه علي رضي الله تعالى عنهما ليرجعهم إلى حظيرة الإسلام<sup>(٥٠)</sup> .

وهذا يعني أن جابراً ليس مؤسساً لأفكارهم إلا لأنه تلميذ ابن عباس الذي اقتنع بأفكار

الخوارج .

لكن السؤال المهم : إلى أي الخوارج انتسب ابن عباس حسبما يقولون ؟

فهناك الأزارقة الغلاة ، والصفورية المعتدلون ، والإباضية المتهاونون (حسب

التصنيف الذي كان وقت قراءة كتاب ابن الأزرق بين ابن صفار وابن إياض) .

وكل هذه الفرق خرجت من رحم الحرورية والنهروانية !

هذا على فرض الادعاء الباطل بأن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اقتنع بكلام

الحرورية ، والصحيح أنه رجع معه أكثرهم ، ولم يبق إلا القليل فحاربهم علي رضي الله تعالى عنه<sup>(٥١)</sup> .

**الأمر الثاني :** لم تظهر الإباضية وتتميز أفكارها لتكون فرقة مستقلة متميزة عن

غيرها من الصفورية والأزارقة إلا عندما قرأ عبد الله بن إياض كتاب نافع بن الأزرق وردّ ما

فيه ، فأنكر عليه ابنُ صفار ذلك .

فيقال — والحالة هذه — : إن الحال قبل كتاب نافع كان متحدّاً بين ابن صفار وابن إياض ،

---

(٥٠) المرويات عن ابن عباس في مسائل الكفر تعارض ما ذهبوا إليه ، وما أورده هنا إنما هو

عرض لنشأتهم من أقلامهم وبحسب ما يعتمدون هم عليه ، ولم أناقشهم فيها خوف الإطالة ، وفي كتب المقالات والفرق ما يغني عن الإعادة ، وهذه الدراسة في النقد الحديثي في «مسند الربيع بن حبيب» لا نشأة الإباضية .

(٥١) كما عند ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، «البداية والنهاية» ، مكتبة

المعارف ، بيروت (٢٧٩/٧) وعند غيره أيضاً ، وهو من الأمور المشهورة شهرة حرب علي رضي الله عنه لهم .

ما يعني أنهما كلاهما كان تلميذاً لجابر بن زيد ، بل كانا كلاهما تلميذاً لعمران بن حطان أيضاً ، والانقسام الذي حصل كان ابن وقتة بداءةً ، دون رجوع إلى جابر بن زيد الذي لو رجعا إليه لما حصل الخلاف المذكور ، وكذا لم يرجعا إلى عمران .

بل لم يكن جابر بن زيد معهم عندما كانوا مع ابن الزبير ، ولو كان معهم لما كان ما كان ، ولكانوا على قلب رجل واحد .

ولو كان جابر بن زيد هو المؤسس ، وصاحب رأي وكلمة فيهم لما بعث نافع بن الأزرق الكتاب الذي بعثه إلى ابن صفار وابن إياض ، فلم يكن ليخفى عليه أن جابراً صاحب الحكم والكلمة ؛ لأن ابن الأزرق كان من (القعدة) مع الاثنين الآخرين قبل خروجه عليهم بعد حادثتهم مع ابن الزبير وذهابهم إلى البصرة ، وكلهم كانوا أيام أبي بلال مرداس متفقين ، وما سافروا إلى مكة إلا لنصرة البيت الحرام ، بل إن أبا بلال كان يصدر عن أمر جابر نفسه كما يقولون .

**الأمر الثالث :** إن التطور التاريخي للخوارج حسبما عرضه خليفات هو الذي أبرز الإباضية فجأة عند الاختلاف في كتاب نافع ؛ فلم يظهر دور جابر بن زيد إلا فجأة بعد اكتمال الصورة في نشأة الإباضية ؛ حين قال خليفات :

«ولكن الصعب في الأمر هو التوفيق بين كون ابن إياض إمام أهل التحقيق ، ورئيس القعدة ، ورئيس من بالبصرة وغيرها من الأقطار من جهة ، وبين كونه لا يصدر في أفعاله إلا بأوامر جابر بن زيد الذي تعتبره المصادر الإباضية (المؤسس الحقيقي) لدعوتهم» .

هنا أدخل جابر بن زيد في عالم الإباضية ، فالكلام كان منسجماً مع نفسه — كما يقال — ، إلا أن هذه المعارضة هي التي أبرزت دور جابر بن زيد (السري) و (التقية الدينية) عنده ، وليس واقع الحال .

فإن ابن إياض نفسه لم يظهر له دور حقيقي إلا حين اعترض على كتاب نافع ، وبعدها تميّز عن ابن صفار ، ثم انتهى دوره ، بل (اختفى فجأة) ، وبعد اختفائه أُلغى الإباضية عن المناقشة العلنية والجدل الكلامي مع مناوئهم ومخالفهم ، ولجأوا إلى السرية المطلقة في تنظيم دعوتهم ، وكان لجابر دور تنظيمي كبير في هذه المرحلة التي تعرف في التاريخ الإباضي بـ (طور الكتمان) — كما يقول خليفات — (٥٢) .

والسؤال المهم هنا : من الذي كان يصدر عن قول الآخر ؟

هل جابر بن زيد كان يصدر عن قول ابن إياض ، وانتهى الأمر وتحول إلى الكتمان

بعد (اختفاء) ابن إياض الذي كان مجاهراً بدعوته ؟

أم أن ابن إياض كان يصدر عن قرار جابر بن زيد فاخترى فجأة كما ظهر فجأة ؟

لنتحول الدعوة (فجأة) إلى (دعوة سرية) معتمدة على (التقية الدينية) !

الأمر الذي يناقضه تماماً علي يحيى معمر عندما قال بأن الدعوة الإباضية لم تكن سرية ، وكأن الأمر بينهما في سجال ؛ يريد كل واحد منهما أن يستدل على قوله ورأيه ؛ فتضاربُ القولين ينفي ما يذهبون إليه كليهما في نسبة جابر بن زيد إلى الإباضية ، ويثبتُ ما يقتضيه واقع الحال من ذلك ، وما تثبته الأدلة العلمية والعملية والعقلية من أن جابر بن زيد رحمه الله تعالى لم يكن إباضياً .

**والأمر الرابع :** إن جابر بن زيد قد تبرأ من الإباضية وما نُسب إليه ، فمهما ذكروا عنه فليس بحق ؛ لأنه ليس واحداً منهم ، وعدمُ إدراجي لأخباره معهم هو أحد نتائج بحثي المتقدمة عن مكانها ، وستجدُ مصداق ذلك من الأدلة الدامغة التي تدل على (الحق الدامغ) آخر الدراسة في مطلب خاص .

لذلك فإن ذكرني للأخبار السابقة كان لمجرد التعريف ، وأخذ فكرة عامة عن واقع الإباضية من داخلهم ، كون الدكتور عوض خليفات كاتب سني كتب عنهم ، واعتمد كتبهم ، ويعتمدون كتابه على أنه أحد المراجع المهمة جداً في نشأة مذهبهم ، وكذا باقي علمائهم كعمرو النامي وأعوشة ، ومعمر .

وليسَت المسألة عندي تحقيق أخبارهم ؛ فذلك يطولُ الأمر به ، ويحتاج (حقيقة) إلى دراسة خاصة ، شاملة وموسعة .

والله تعالى أعلم ، وهو المستعان دوماً .

### المبحث الثاني : عقائد الإباضية التي تميزهم عن غيرهم .

لن أتكلم في هذا المطلب عن عقائدهم إلا مجرد الوصف من كتبهم ؛ لئلا يعترض معترضهم بأن ما يكتب عنهم هو مما ينسب إليهم ، وهم لا يؤمنون به ، أو أنه من الأمور التي يسيء الناس فهمهم فيها ، ونحو ذلك .

فإن كثيراً من الدراسات الإباضية كانت تعترض على كثير من الأمور التي تُنسب إليهم على أن كاتبها ليس عنده (صورة واضحة) عن الإباضية ، أو أنه (متحامل) عليهم ، أو أنه (ينقل) عن كتب الآخرين دون تحقيق ودراسة .

لذلك فيجدر إبراز أهم العقائد بناءً على الكتابة السابقة في نشأتهم ، وبناءً على الدراسات والكتب والمؤلفات الإباضية الأخرى التي استطعت الوقوف عليها ، على فرض أنهم جئوا عقيدتهم ، وليس عندهم (تقية دينية) كما عند جابر بن زيد في فترة الكتمان — كما يقولون — .

ولن تكون مناقشة لهم فيها ، وليس ذكر عقيدة من عقائدهم في هذه الدراسة دون كلام عليها هو موافقة عليها من أي وجه ، وإنما هو الذكر المجرد ، والله تعالى الموفق :

يعتقد الإباضيون أنهم أول المذاهب الإسلامية المعتدلة نشوءاً ، وأقربها إلى عصر النبوة ، وأنهم خير القرون ، وأفهمها لروح الإسلام ، وأسرار التشريع وهدي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبعد استقرار الإباضية بأزمنة مختلفة ، تطول أو تقصر ، بدأت تتكون المذاهب الأخرى ، وتنتشر في بعض جهات العالم الإسلامي ، فتكوّنت المعتزلة ، ثم تكونت غيرها من المذاهب التي يعتنقها كثرة المسلمين اليوم<sup>(٥٣)</sup> .

---

(٥٣) كذا قال علي يحيى معمر في كتابه «الإباضية في موكب التاريخ» (ص : ٦١) .

فهو يقصد بذلك أهل السنة الذين ظهروا — حسب قوله — بعد الإباضية ؛ فهم (كثرة المسلمين اليوم) . وقال (ص : ٧٧) : «الإسلام عقيدة وقول وعمل : من المسائل التي يكاد ينفرد بها الإباضية : هذه القاعدة الهامة التي لا يمكن أن تكون للإسلام ثمرة بدونها ، هذه القاعدة هي اشتراطهم العمل لتمام الإسلام» . وحقيقة الأمر أليس يذهب أهل السنة أن الإيمان قولٌ وعملٌ ، وأنه اعتقادٌ بالجنان ، ونطقٌ باللسان ، وعملٌ بالجوارح والأركان ؟! فكيف (يكاد) أن ينفردوا بها ؟!

غير أنه يعتبر أن إطلاق لفظ (أهل السنة والجماعة) إنما هو على معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه وأتباعه ؛ لأنهم أنكروا إمامة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وجعلوا سبّه على المنابر ولعنه (سنة متبعة) ، فسمّوا ومن وافقهم : (أهل السنة والجماعة) . على حد زعمه ! (انظر ص : ١٣٥ — ١٣٦) .

أولاً : معنى الإيمان عند الإباضية :

فالإيمان عندهم أصلٌ ينبني على أربعة جوانب ؛ وهي كما في «مقدمة التوحيد» عند الإباضية :

«إن قيل لك : ما قواعد الإسلام ؟ فقل : أربعة : العلم ، والعمل ، والنية ، والورع»<sup>(٥٤)</sup> .  
فهم بذلك يردُّون على السَلَفِيَّةِ والمُرْجِيَّةِ والأشاعرة ، ويوافقون المعتزلة والزيدية والرافضة .

لذلك فإنهم يعتبرون من أتى بالقول وضَيَّعَ العمل (كافراً منافقاً ضالاً فاسقاً عاصياً ، ليس بمؤمن ، ولا بمسلم ، ولا بمشرك) ، وأحكامه أحكامُ الأمة الإسلامية .  
والدين والإيمان والإسلام عندهم : أسماء مختلفة لشيء واحد وهو طاعة الله تعالى<sup>(٥٥)</sup> .  
ثانياً : يتفق الإباضيون على القول بخلق القرآن<sup>(٥٦)</sup> .

ثالثاً : يتفق الإباضيون على القول بنفي رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة ، للمؤمنين والكافرين<sup>(٥٧)</sup> .

رابعاً : يتفق الإباضيون على القول بخلود أصحاب الكبائر في النار ما لم يتوبوا<sup>(٥٨)</sup> .  
وهي ما يعبرون عنها أحياناً بقولهم : «لا منزلة بين المنزلتين» ؛ فلا منزلة بين الإيمان والكفر<sup>(٥٩)</sup> .

---

(٥٤) فيما نقله أعوش ، «دراسات إسلامية في الأصول الإباضية» (ص : ٥٧) .

(٥٥) كما ينقل أعوش ، مرجع سابق (ص : ٥٦) عن أبي زكريا الجناوي في كتابه «الوضع» (ص : ١٤ - ١٦) ، ولم أقف عليه .

(٥٦) انظر لذلك : الخليلي ، أحمد بن حمد ، «الحق الدامغ» (ص : ١٨٠) ، وفيه بحث طويل في تحقيق هذه العقيدة عندهم ، و : النامي (ص : ١٨٠ و ١٨٧ و ١٩٨) ، وأعوش (ص : ٨٤) .

(٥٧) الخليلي ، المرجع السابق (ص : ٩٥) ، وفيه بحث طويل في تحقيق هذه العقيدة عندهم ، وأعوش (ص : ٥٩) ، والنامي (ص : ١٨٧) .

(٥٨) الخليلي ، مرجع سابق (ص : ٢٢٦) ، وفيه بحث طويل في تحقيق هذه العقيدة عندهم ، وانظر : النامي (ص : ١٨٨ - ١٩٢) ، ومعمر ، «الإباضية بين الفرق الإسلامية» (ص : ٣٤٥) ، وأعوش (ص : ٧٠) ، وقد يدرجونها تحت باب (العدل والوعد والوعيد) .

(٥٩) هم يقولون : لا المنزلة بين المنزلتين ؛ بمعنى : أنه لا منزلة بين الإيمان والكفر ، لكنهم يقولون أيضاً : هناك منزلة بين المنزلتين ؛ بمعنى : أن هناك منزلة بين الإيمان وبين الشرك ، وهي منزلة الموحد ، وهو الكافر كفر النعمة ، وهي منزلة النفاق بين الإيمان والشرك ، وتخلد صاحبها في النار إن لم يتب ، وفيما يأتي زيادة بيان . وانظر : النامي (ص : ١٩٩ - ٢٠٠) ، وعلي يحيى معمر ، «الإباضية بين

**خامساً :** موقف الإباضية من الولاية والبراءة من العصاة ، وكفر النعمة :

يقول علي يحيى معمر : «والإباضية لا يخرجون العصاة من الملة ، ولا يحكمون عليهم بالشرك ، ولكن يوجبون البراءة منهم وبغضهم ، وإعلان ذلك لهم حتى يقلعوا عن معصيتهم ويتوبوا إلى ربهم»<sup>(٦٠)</sup> .

ويقصد بذلك الحب للطائع ، والبغض للعاصي ؛ كما في بداية بحثه لهذا الموضوع ، وقد قال في موضع آخر :

«المقصود أنه عندما يرتكب أحد الإباضية معصية فلما أن تكون مما يعلمه الناس ، أو مما يُلمُّ به الفرد مستتراً حتى يغلبه الشيطان .

فإذا كان الخطأ من النوع الأول بادر (المسلمون) إلى إعلان البراءة منه ، وقطع التعامل معه ، والجفوة عليه حتى من أقاربه وأهله ، حتى يعترف بما ارتكب على الأشهاد ، ويعلن توبته إلى ربه بعد رجوعه إليه ، ويعاهد الله ألا يعود ، وهكذا يرجع العاصي إلى حظيرة الأمة ، وتطهر من أرجاس المعصية ليعاود الكفاح في سبيل الله والعمل الخير — وقد تطهر — ، والدعوة إليه ، وبحيا حياة نظيفة في مجتمع نظيف .

أما إذا كان من القسم الثاني (أي : من الأخطاء التي يُلمُّ بها الإنسان مستتراً) فإن ذلك يجعله يسير مع الركب في الظاهر ، على أن ضميره لا يكفُّ عن التوبيخ ، وهو يعتقد أنه ليس فيما يعصي الله به صغير ، وأن من وَرَدَ على ربه بهذه الحالة سيكون من (أصحاب النار خالداً فيها أبداً) ، وفي ذلك زجر عما ارتكب ، وداع إلى الإقلاع عما أَلَمَّ به من وساوس الشيطان»<sup>(٦١)</sup> .

ثم أعقبه بمبحث (كفر النعمة) ؛ فقال :

«يحسب الكثير ممن لا علم له أن الإباضية يتفقون مع الخوارج في تكفير العصاة كفر شرك ، ولا يعرفون أن الإباضية يطلقون كلمة الكفر على (عصاة الموحدين)<sup>(٦٢)</sup> ، الذين

---

الفرق الإسلامية» (ص : ٣٣٩ — ٣٥٠) .

(٦٠) علي معمر ، «الإباضية في موكب التاريخ» (ص : ٨٧) ، وقد جعل النامي لها مباحث طويلة في بيان ذلك وفوائده ونحوه في كتابه (ص : ٢٣٩ — ٢٧٣) ، وانظر عنده أيضاً ما نقله عن عامر الشماخي (ص : ١٩٩) .

(٦١) علي معمر ، المرجع السابق (ص : ١٢٥) .

(٦٢) الموحدون هو المصطلح الذي يطلقه الإباضية عادة على مخالفهم في المعتقد ، أما هم فهم جماعة المسلمين ، وأهل الحق والاستقامة) .

ينتهكون حرمان الله ، ويقصدون بذلك كفر النعمة» .

ثم ناقش ذلك ، واستدل على ذلك بأمر منها آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، لكنه نزل آيات وردت في المنافقين على أحوال (الموحدين) العاصين ، ووصف العاصين بالمنافقين ، وقال نهاية كلامه :

«وخلاصة البحث : أن الإباضية عندما يطلقون كلمة (الكفر) على أحد من (أهل التوحيد) فهم يقصدون (كفر النعمة) ، وهو ما يُطلق عليه غيرهم كلمة (الفسوق والعصيان) ، والمعنى الذي يُطلق عليه الإباضية (كفر النعمة) ، ويطلق عليه المعتزلة (الفسوق) ، ويطلق عليه غيرهم (النفاق) أو (العصيان) وهو معنى واحد .  
وقد أطلقت الكلمات الثلاثة على (المنافقين) في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أطلقت على الذين يُجاهرون الله بالمعصية ، فيخالفونه عن أمره .  
والنقاش في هذا الموضوع (نقاش لغوي) ، والاختلاف (لفظي) (٦٣) .

---

(٦٣) ليس الأمر كما يقولون ؛ كما هو ظاهر من نتيجة أقوالهم ؛ فأهل السنة لا تقولُ بما يقولون ، وهل العصي كالمنافق الذي أبطن الكفر وأظهر الإسلام ؟! وهل عاقبة المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار كعاقبة العصاة ، وإن كانوا أصحاب كبائر ؟!  
لكنهم ينكرون الشفاعة له ، ويقولون بخلود صاحب الكبيرة في النار . فالنتيجة كمن كَفَرَ كَفَرَ جود ، فهم يعاملون هؤلاء في الدنيا معاملة العصاة ، إلا أنهم عندهم في الآخرة كالكفار خالدين في النار ، وهذا هو الاختلاف اللفظي الحقيقي الذي ينبغي أن يقال .  
كما أن تعريفهم للخوارج كما عند بكير بن سعيد أعوش في فهرست الفرق الكلامية آخر كتابه «دراسات إسلامية في الأصول الإباضية» (ص : ١٣٨) يقول : «الخوارج هم الأزارقة والنجدية والصفورية ، فيرون أن مرتكب الكبيرة كافر كفر شرك» .

فيظهر هنا سؤال مهم ، وهو : ما الفرق إذا كانت النتيجة واحدة ، وهل الدنيا إلا محطة للآخرة ؟!  
ويفهم من هذا الكلام أمر آخر ؛ وهو أن الكافر عندهم غير المؤمن والمشرک ، وليس بمؤمن ، ولا مشرک ، والكافر موحد ، إلا أنه في الحالات كلها مآله إلى النار خالدا فيها .  
لذلك فإنهم يُجلّون التزواج من هؤلاء الموحدين الكفرة ، والتوارث منهم ، ولا يستحلون أموالهم ولا نساءهم ، إلا أنهم يستحلون دماءهم ، وقد سبق النص من عبد الله بن إباض في هذا ، عند افتراقه مع عبد الله ابن صفار ونافع بن الأزرق .

كما أنهم يستحلون الإغتيل السري للتخلص من كل شخص يحاول إيذاءهم أو يتسبب في قتل أحد منهم ؛ كما سبق ذكره عند اغتيالهم لعبد بن علقمة المازني قائد الجيش الذي أباد مرداساً وأصحابه .  
لكني لم أف على هذا المعنى بصورة واضحة في غير هذين النصين ، بل كثيراً ما يقولون بأنهم لا يستحلون دم أحد من أهل القبلة ، ولا يستعرضون أحداً بالسيف .



والنتيجة : أن من يُصِرُّ على معصية الله يُلاقى (نفس الجزاء) الذي يلاقيه من (يكفر بالله)<sup>(٦٤)</sup> ، أما معاملة (المسلمين)<sup>(٦٥)</sup> لمن (يفسق عن أمر الله) أو (ينافق في دين الله) ، أو (يكفر بنعمة الله) ، فإنها (معاملة للعاصي المُتَّهِك) الذي تجب محاولة إرشاده إلى وجوب الاستمسك بدينه ورجوعه إلى أوامر ربه ، وإقلاعه عن (محاذة الله ورسوله) ، فإن أصر واستكبر وتغلب عليه الشيطان ، بُرئ منه ، ومن عمل به ، وجافاه المسلمون ، على ما تقدم في فصل الولاية والبراءة حتى يتوب»<sup>(٦٦)</sup> . ا . هـ .

وقد ورد في القسم الأول من الزيادات على «مسند الربيع» (الجزء الثالث) أحاديث كثيرة في أحوال أهل الكبائر ، علّق بعدها بالقول : «فهذه الأحاديث كلها تثبت الكفر لأهل القبلة ، وهي أكثر من أن تحصي»<sup>(٦٧)</sup> .

سادساً : لذلك فإنهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر والمعاصي . ويستدلون على ذلك بأحاديث يذكرون أن جابر بن زيد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم في «الأخبار المقاطيع» التي زادها الوارجلاني في القسم الرابع من «مسند الربيع بن حبيب»<sup>(٦٨)</sup> ، وكلُّ من كتب منهم اعتمد على هذه الروايات<sup>(٦٩)</sup> . وهي الروايات بالأرقام التالية :

- ١٠٠١ — جابر بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا بعمل صالح وبرحمة الله وشفاعتي» .
- ١٠٠٢ — جابر بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا تنال شفاعتي سلطاناً غشوماً للناس ، ورجلاً لا يراقب الله في اليتيم» .
- ١٠٠٣ — جابر بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا تنالُ شفاعتي الغالي

---

انظر : علي يحيى معمر «الإباضية بين الفرق الإسلامية» (ص : ٣٣٠ — ٣٣٨) .

(٦٤) وينكر علي يحيى معمر في «الإباضية في موكب التاريخ» (ص : ١٢٧) على من ينتمي إلى أتباع عبد الله بن إياض بارتكابهم للمعاصي فيقول : «فإذا جئتَ لنتهاه عن هذا المنكر أجابك في غير مبالاة : أن مذهب الإباضية مذهب شديد ، وأنه سمع أن غيره من المذاهب لا يغلقون أبواب الجنة في أوجه العصاة ، كأنما أصبحت أبواب الجنة وأبواب الجحيم في أيدي الناس ، يغلقونها متى شأؤوا و يفتحونها لمن شأؤوا» .

(٦٥) هم المقصودون بذلك .

(٦٦) معمر ، المرجع السابق (ص : ٩١ — ٩٢) .

(٦٧) «المسند» (ص : ٢٥٩) .

(٦٨) سيأتي التعريف بهم .

(٦٩) سواء كان الخليلي أو النامي أو أعوش أو معمر أو من قبلهم ممن يُنقل الكلام عنهم .

في الدين ، ولا الجافي عنه» .

١٠٠٤ — جابر بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ليست الشفاعة لأهل

الكبائر من أمتي» .

وبعدها مباشرة في «المسند» : «يحلفُ جابر عند ذلك (ما لأهل الكبائر شفاعَة) ؛ لأن الله قد أوعد أهل الكبائر النار في كتابه ، وإن جاء الحديثُ عن أنس بن مالك أن الشفاعة لأهل الكبائر ؛ فوالله ما عني القتل ، والزنا ، والسحر ، وما أوعدَ الله عليه النار .

وذكرَ أن أنس بن مالك يقول : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشعر ، ما كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من الكبائر<sup>(٧٠)</sup> .

سابعاً : يشترك الإباضية مع الخوارج في قضية الخلافة ، ومع المعتزلة في الصفات ، ومع الأشاعرة في القدر<sup>(٧١)</sup> .

— قضية الخلافة : ينسب علي يحيى معمر<sup>(٧٢)</sup> إلى جابر بن زيد أنه «كان يرى أن الخلافة أهم مرافق الدولة ، وأعظم مظهر للأمة ، وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله ، وتطبيق أحكام الكتاب الكريم ، وهي بهذا الوصف لا يمكن أن تخضع لنظام وراثي ، ولا أن ترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة أو لون ، وإنما يجب أن يشترط فيها الكفاءة المطلقة : الكفاءة الدينية ، والكفاءة الخلقية ، والكفاءة العملية ، والكفاءة العقلية ، فإذا تساوت هذه الكفاءات في مجموعة من الناس ، أمكن أن تجعل الهاشمية أو القرشية أو العروبة من أسباب المفاضلة ، أو من وسائل الترتيب ، أما في غير ذلك فليس لها حساب» .

— الصفات الإلهية : يرى الإباضية أن صفات الله تعالى هي ذاته سبحانه وتعالى ، وذاته هي صفاته ، وفي ذلك يقول نور الدين السالمي<sup>(٧٣)</sup> :

صفائه لذاته هي ذاته لا غيرها دَلَّتْ بذا آياته

ما يعني أن الصفة هي عين الموصوف ، أي ليست الصفة شيئاً غير الموصوف ؛ فالذات هي الصفة والصفة هي الذات .

---

(٧٠) وهذا كله باطل ؛ لما ثبت عند أهل السنة بالتواتر أن شفاعَة النبي صلى الله عليه وسلم لأمته ، ولاسيما أهل الكبائر منا ورد في عدد من الأحاديث ، وهذا المكان للعرض ، وليس للنقض .

(٧١) علي يحيى معمر ، المرجع السابق (ص : ٣٧) ، ومع السلفية أيضاً في أحد أقوالهم في القدر

(٧٢) المرجع السابق (ص : ٦٣) .

(٧٣) فيما نقله عنه أعوش (ص : ٥٢) ، وانظر كذلك : النامي (ص : ١٨٨) .

وقال عامر بن علي الشماخي<sup>(٧٤)</sup> : «وندين بأن أسماءه هو ، وبأن صفاته هو ، وندين بأنه ليس ثم شيء غيره<sup>(٧٥)</sup>» .

— **القدر** : يعتقد الإباضية أن المؤمن الصالح يجب عليه أن يؤمن بالقدر خيره وشره .  
وهم يعارضون صراحة المذهب القدري القائل بأن أفعال العباد من خلق العباد أنفسهم ، وكذلك رأي الجبرية النافين عن الإنسان كل مسؤولية .  
ويقولون بأن الله تعالى خالق أفعال العباد جميعها .  
غير أن بعض الإباضية قالوا بالكسب الذي يقوم مقام الخلق عند القدرية ومدرسة الاعتزال .

أي أن للإنسان قدرة على الفعل والله عز وجل هو الذي خلق فينا القدرة ، ولا يحاسبنا على هذه القدرة ، بل إن الحساب ينصب على الأعمال التي اكتسبها الإنسان اكتساباً عن طريق جوارحه وإرادته الحرة<sup>(٧٦)</sup> .

**ثامناً** : ينتقدون قبول التحكيم ، ويرون أن علياً مخطئ في الموافقة عليه ، وفي جعله حقه في الخلافة موضوع نزاع بينه وبين معاوية ، وفي قتاله لعبد الله بن وهب الراسبي وأصحاب النهر ، وأن هؤلاء الآخرين مصيبون<sup>(٧٧)</sup> .

**تاسعاً** : مسالك الدين عندهم أربعة : الظهور ، والدفاع ، والشراء ، والكتمان<sup>(٧٨)</sup> :  
١ — **الظهور** : هو أن يكون المجتمع الإسلامي ظاهراً على أعدائه ، حراً في أراضيهِ ، مستقلاً بأحكامه ، عاملاً بكتاب الله وسنة رسوله ، منفذاً لأحكام الدين ، لا يخضع لأجنبي بوجه من الوجوه ، ولا يستبد به حاكم ، ولا يطغى عليه ذو سلطان .

---

(٧٤) كما في «العقيدة الإباضية الوهبية» ضمن كتاب النامي (ص : ١٩٧) .

(٧٥) لست أدري ما المقصود من هذه الكلمة ؛ هل يقصدون أن كل شيء هو الله ؟!!!!

بمعنى أن الأشياء هي خلق الله تعالى ، والخلق صفة له سبحانه .

سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً مقدساً منزهاً ليس كمثله شيء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

العظيم .

(٧٦) انظر : أعوش ، مرجع سابق (ص : ٦٩) ، وانظر أيضاً : النامي ، مرجع سابق (ص : ١٩٨)

(٧٧) هذا الأمر واضح من تاريخ نشأة الإباضية السابق لإيراده ، وقد صرح به علي يحيى معمر في كتابه «الإباضية في موكب التاريخ» (ص : ٣٧) ، وكذلك صرح به عامر بن علي الشماخي كما في «العقيدة الإباضية الوهبية» ضمن كتاب النامي (ص : ١٩٨) .

(٧٨) انظر لبيان ذلك : معمر ، علي يحيى ، «الإباضية في موكب التاريخ» (ص : ٩٣ — ٩٦) .

فهذه الحالة هي (حالة الظهور) ، وهي أكمل الحالات للمجتمع المسلم ، وعليها يجب أن تكون الأمة ؛ لأنها المنزلة التي ارتضاها الله للمؤمنين : ﴿وَللهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون : ٨] .

٢ - الدفاع : ويكون في حال انحدار الأمة ، وسيطرة العدو عليها ، والظالم ، ولم يحكم حكامها بما أمر الله تعالى ، وهو ما يعبر عنه في العصر الحاضر بـ (الثورة) ، سواء الاستعمار الأجنبي ، أو الثورة على الاستعمار الداخلي بجميع صوره . وزعيم هذه الثورة يقال له : (إمام الدفاع) ، وله على الأمة حق الطاعة والامتثال ما دامت الثورة قائمة ، فإذا استقرت الأمور ورجعت إلى الصواب ، رجع ليكون كأني فرد في الأمة .

ورجوع الأمور إلى نصابها يكون بأحد أمرين : إما نجاح الثورة ، وإما فشلها . ونجاحها يكون بأحد أمرين : إما استجابة الدولة لمطالب الأمة ، ورجوعها إلى أحكام الله تعالى ، وفي هذه الحالة ينتهي عمل الثورة إلى هذا الحد . وإما الإطاحة بالنظام الفاسد ، وقلب الحكم الظالم ، وتغييره إلى نظام إسلامي يتمشى مع التشريع الذي جاء به كتاب الله الكريم ، وعندئذ أيضاً لا يكون لزعيم الثورة أو أمير الدفاع أي حق في الحكم ، إلا إذا اختارته الأمة ؛ لشروط توفرت فيه بعد الهدوء والاجتماع والتفكير والمفاضلة ، حسب الشروط المتبعة في اختيار أمير للمؤمنين .

٣ - الشراء : ويكون في حالة ضعف (المسلمين) عن هذا الموقف وهو (الدفاع) ، ولا يستجيبون لداعي الثورة ، ويفضلون طريق السلامة والدعة والاستراحة ، فيحقق لقلّة منهم إذا بلغت أربعين رجلاً أن يعلنوا الثورة ضد الفساد . ولكونهم قلة لا يُتوقع نجاحهم ، فإن تنظيمهم هذا يشبه أن يكون شغباً على الدولة الظالمة ، حتى لا تطمئن إلى تنفيذ خططها الجائرة ، فيقلقون الظالمين ، ويخوفونهم بأعمالهم وحركاتهم .

وحالهم كحال الفدائيين ؛ فلا يحلّ لهم بعد أن ينخرطوا في هذه المؤسسة أن يعودوا إلى بلادهم ، أو يستقروا في أمكنتهم ، أو يتخلوا عن رسالتهم ، حتى ينتهي بهم الأمر إلى النجاح أو القتل ، والقتل أقرب الأمرين إليهم .

وعندما تضطر الظروف أحدهم إلى منزله لشأن من شؤون تمديد الثورة ؛ كالترود ، فإنه يعتبر في منزله غريباً مسافراً يقصر الصلاة ، ولكنه عندما يكون في شغف الجبال ، أو

بطون الأودية ، يقطعُ المواصلات على الطغاة ، أو يهدمُ الجسور التي تمر بها القُطرُ الظالمة ، أو يقتلع أسس القلاع التي تجمع ذخيرة الجبابرة ، حينئذٍ يعتبر في منزله وبين أهله .  
وهم في كل ذلك لا يحل لهم أن يروّعوا الأمنين ، أو أن يسيؤوا إلى المسالمين .  
يقول علي معمر : «إنه تنظيم رائع للفدائية في الإسلام عندما يتحكم الظلم ، ويستعلي عبيد الشيطان ، وتعطل أحكام الله بأحكام الإنسان ، يقول أبو إسحاق : الشراء من أخصر أوصاف الإباضية» .

٤ - الكتمان : ويكون في حالة لم يقم أحد بالدفاع ولا الثورة والشراء ، فإنه يجب أن يبتعد المؤمنون عن مساعدة الظالمين بتولي الوظائف الظالمة ، وأن تتولى شؤونهم جمعياتٌ تنبث فيهم هداية الله ، وتملأ قلوبهم بالإيمان بالله ، وتنشر فيهم المعرفة والثقافة الإسلامية التي تبصرهم بدين الله ، فلا تكون علاقتهم بالظالمين إلا في أيسر طريق ، وأضيق مجال ، فيما يتعلق بجباية الأموال المفروضة عليهم للحاكمين ، وهي الجمعيات ، أو ما يسمى في التنظيم الإباضي (بحلقة العزابة) .

### المبحث الثالث : الرواية وعلوم الحديث عند الإباضية .

\* لا يعتمد الإباضية على الحديث في الفقه ، بل يأخذون العلم عن الأئمة الثقات ؛ يقول النامي<sup>(٧٩)</sup> :

«والظاهر أن معرفة الأحاديث ليست ضرورية للعلماء لتدريس العلم ، أي الفقه ، أو معرفة الأحكام الشرعية ، وقد سئل أبو عبيدة عن الشخص الذي لا يحفظ أحاديث الرسول : هل هو ثقة ؟ هل يستطيع أن يدرس العلم ؟ فقال : سبحان الله ! أكلُّ الناس يحفظون الحديث ؟ بل يؤخذ العلم عن الثقات ، وإن كانوا لا يعلمون حديثاً واحداً» . ا . هـ .

**قلتُ** : وهذا النص من أهم النصوص التي تبين قيمة أي رواية عند الإباضية ، وأنه بدرجة متأخرة عن فقه الأئمة عندهم .

فإذا كان أحد أهم الأئمة عندهم ، وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة يقول هذا الكلام ، وهو شيخ الربيع بن حبيب ، فإن العناية بـ «مسند الربيع» لن تكون تلك العناية التي ينبغي أن تكون في حق كتاب يعتبر الأصل في مذهبهم<sup>(٨٠)</sup> .

ولذلك نلمس قلة كتب الرواية عند الإباضية ، وتمحورها حول رجل الربيع بن حبيب وجابر بن زيد ؛ فجابر رجل معروف بالعلم والرواية عند أهل السنة ، وانتسبت إليه الإباضية . أما الربيع بن حبيب فسيأتي الكلام عليه وأبين حقيقته .

\* غير أن الأصول العلمية الحديثية عند الإباضية تكاد لا تعرف إلا من طريق الوارجلاني مرتب «المسند»<sup>(٨١)</sup> ، وفي ذلك يقول الدكتور عمرو النامي :

«على أي حال : ظهرت في وقت لاحق أصول أخرى تتعلق بالحديث في عمل لأبي يعقوب الوارجلاني هو «العدل والإنصاف» ، وغالبية تلك الأصول معروفة في كتب السنة عن علم الحديث ، ولعل أبا يعقوب جمع بعضها من مُدرّسيه السنة في قرطبة ، أو لعل عدداً من تلك الأصول انتقل إليه من مراجع إباضية تعود إلى عهود سابقة ، أمثال محمد بن محبوب ، ووالده

---

(٧٩) في كتابه «دراسات عن الإباضية» (ص : ١٢٧) .

(٨٠) ستأتي ترجمة أبي عبيدة (ص : ١٠٣) والربيع بن حبيب (ص : ١٢٩) ، وبيان قيمة

«المسند» العلمية (ص : ٦٧) .

(٨١) ستأتي ترجمته عند التعريف بروايات «المسند» عن الربيع (ص : ٨١) .

أبي سفيان ؛ إذ يقال أن كتبهما وقعت في يديه<sup>(٨٢)</sup> «<sup>(٨٣)</sup>» .  
وحقيقة الأمر بأن الوارجلاني هو الذي رثب «مسند الربيع بن حبيب» — كما سيأتي<sup>(٨٤)</sup> —  
، فالفضل في ظهور «المسند» يرجع إليه ، كما أنه زاد على «المسند» زيادات جعلها في الجزأين  
الثالث والرابع من «المسند» الكامل .  
وفي الأحوال جميعاً لم يذكر الإسناد منه إلى «المسند» ولا إلى الكتب التي ذكرها وزادها .  
هذا مع أن الإباضية يتشددون في طريقة نسخ كتب الرواية والتدوين ؛ حيث قال  
النامي :

«ولعلّه من الأهمية بمكان هنا أن نذكر الأصول التي وضعها الإباضيون لتدوين ونسخ  
كتب الأحكام الفقهية ، التي منها يمكن إصدار الأحكام الشرعية ؛ والأصول هي :  
أن الناسخ ينبغي أن يكون ولياً ، وأن الرجل الذي يملئ عليه ينبغي كذلك أن يكون  
ولياً ، ثم إنه ينبغي لوليّين أن يُراقبا الإملاء ، فيما يُراقب وليان آخران الكتابة»<sup>(٨٥)</sup> .  
**قلت** : وهذا من الأمور النظرية التي لا يمكن أن تكون موجودة في «مسند الربيع بن  
حبيب» ؛ وإلا لاشتهر الأولياء وذكرهم ؛ كما شَهِروا «المسند» وذكروه .

\* على أن هناك بعض الآثار عن أبي عبيدة في أداء الرواية ، ذكر بعضها الدكتور  
النامي<sup>(٨٦)</sup> ؛ حيث أورد عن أبي عبيدة قال :  
«لا يؤثر تغيير موقع كلمات في أحاديث الرسول أو الآثار ؛ بأن نقدمها أو نُؤخرها إذا  
بقي المعنى واحداً . ثم سئل : ماذا بشأن إضافة أو حذف حروف كالواو أو الألف المهموزة  
إذا لم يغير ذلك المعنى ؟ فقال : «أرجو أن لا حرج في ذلك» .  
وفي كلام له عن يؤخذ الدين ؟ قال أبو عبيدة :  
«لا ينبغي أن تأخذ العلم من مبتدع ؛ لأنه يدعو إلى بدعته ، ولا من سفيه يدعو إلى  
سفهه ، ولا ممن يكذب وإن كان يصدق في فتواه ، ولا ممن يفرز مذهبه من مذهب غيره» .

---

(٨٢) لو كان محبوب وابنه هم رواة «المسند» لذكر ذلك الدكتور النامي والوارجلاني الذي يُقال :  
إنه وقعت الكتبُ بين يديه ؛ كما ذكر النامي الآن .  
(٨٣) في كتابه السابق (ص : ١٢٨) .  
(٨٤) (ص : ٨٥) .  
(٨٥) الموضع السابق .  
(٨٦) النامي (ص : ١٢٧) .

**قلت :** والناظر في كتب الأئمة من أهل النقد المتقدمين ، من معاصري أبي عبيدة يدرك أن هذه العبارات لم تكن بهذه الحرفية والحديثية في ذلك الوقت ، كما أنها تُشعرُ صياغتها وعباراتها أنها متأخرة ، وأقرب ما تكون إلى المعاصرين<sup>(٨٧)</sup> .

\* أما كتب الرواية التي عند الإباضية التي تدور على الربيع بن حبيب فهي :

**أولاً :** «المسند»<sup>(٨٨)</sup> :

وقد رتبّه الربيعُ على أسماء الرواة ، وهو غير موجود على هذه الصورة الآن ، أما ما بين أيدينا فهو ترتيب الوارجلاني له ، وهو الجزءان الأول والثاني من «المسند» المطبوع . وقد وصفه معظم الإباضية وكتابهم على أنه «المسند الصحيح» ؛ الذي هو من حيث الجملة أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى .

**ثانياً :** بعض الأحاديث النبوية والآثار المروية عن بعض الصحابة التي لها تعلقٌ بالعقيدة .

وهي تشكل الجزء الثالث من «المسند» ، وهي الزيادة الأولى عليه من الوارجلاني .

وهذه الزيادة تحتوي على (١٣٩) حديثاً وأثراً حسب الترتيم المطبوع .

**ثالثاً :** رواية أبي سفيان محبوب بن الرحيل<sup>(٨٩)</sup> عن الربيع بن حبيب زيادة في الترتيب

وهي تشكل جزءاً من الزيادة الثانية على «المسند» ، في القسم الرابع منه بترتيب

الوارجلاني ، وهو يحتوي على (١٢٢) رواية بترقيم المطبوع .

**رابعاً :** كتاب آثار الربيع .

وقد رواه الربيع عن شيخه ضُمام بن السائب عن جابر بن زيد ، ولم يطبع بعد ، وقد

ألفه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة<sup>(٩٠)</sup> .

**خامساً :** إجابات أسئلة في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية وأجوبته ، وهي

آراؤه ، وقد رواها عنه أبو غانم الخراساني<sup>(٩١)</sup> في «مدونته»<sup>(٩٢)</sup> .

---

(٨٧) على الرغم من عدم وجود دليل عندي الآن ؛ فلم أقف على المصدر الذي رجع إليه النامي

في نقله الآن .

(٨٨) وهو موضوع الدراسة هنا ، وما هنا مجرد وصف له دون تعليق .

(٨٩) تأتي ترجمته (ص : ٨١) .

(٩٠) تأتي ترجمته (ص : ١٣١) .

(٩١) تأتي ترجمته (ص : ٦٧) .



\* وهم يعتمدون على أهل السنة في مروياتهم ؛ المتقدمون والمتأخرون منهم على السواء ، كما يعتمدون على كتب الرجال السنية ، وكتب الفقه وغيرها ، وعلى علماء أهل السنة عموماً فيما ليس يخالف معتقداتهم .

كما يستخدمون مصطلحات علماء السنة دون تخرج في ذلك .  
وهذا معتمد مهم جداً في دراستي هذه في التعامل معهم من منطلق متفق عليه بيننا ، دون اللجوء إلى الافتراضات التي يمكن أن يتقالت منها أي طرف بيننا .  
لكن متأخري المعاصرين من الإباضية يحاولون الاستقلال والطعن في كتب مخالفيهم .

والحمد لله رب العالمين .

---

(٩٢) هناك بعض الكتب التي تنسب إلى جابر بن زيد ؛ مثل «ديوان جابر» المفقود ، وكذلك كتاب في الصلاة ، وكذلك هناك بعض الأجزاء الحديثية التي تُذكر في كتب الفقه الإباضية المتقدمة ، لكنني لم أجد اهتماماً بها ، ولا يذكرونها في دراساتهم المتأخرة ، ومن الكتب التي اهتمت بها وذكرتها بكثيرة كتاب «المصنف» للسلمي النزوي (٥٥٧ هـ) .